﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥﴾ [الأحزاب: 25]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

امتنانُ الكريمِ هنا بتفصيل ما أجمل سابقًا من النِّعم على المؤمنين

لمّا ذكر الله سبحانه فيما سبق قصَّة تحزُّب الأحزاب؛ رجع إلى حكاية بقيَّة القصَّة وتفصيل تتمَّة النِّعمة المشار إليها إجمالًا بقوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾ [الأحزاب: 9][1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَرَدَّ﴾: (ردّ) أصلٌ واحد مطَّرد منقاس، وهو رَجْعُ الشَّيء، تقول: رددتُ الشيء أردُّه ردًّا[2]، وسُمّي بالمرتدِّ؛ لأنَّه ردَّ نفسه إلى كفره، والرَّدُّ: صرف الشَّيء بذاته، أو بحالة من أحواله، يقال: رَدَدْتُهُ، فارْتَدَّ، قال تعالى: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٤٧﴾ [الأنعام: 147] [3]، ومعنى الردِّ في الآية: صرفُ أحزاب الكفر عن المدينة خائبين خاسرين.

2) ﴿بِغَيۡظِهِمۡ﴾: (غيظ) أصلٌ يدلُّ على كرب يلحق الإنسان من غيره[4]، والغَيْظُ: أشدُّ الغضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه، قال: ﴿قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ﴾ [آل عمران: 119]، وقد دعا الله الناس إلى إمساك النَّفس عند اعتراء الغيظ، قال: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ [آل عمران: 134]، ولا يكون الغيظ إلّا بوصول مكروه إلى المغتاظ[5].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 07/ 99.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رد).
(3) الرّاغب، المفردات: (ردد)، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (ردد)، وابن منظور، لسان العرب: (ردد).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غيظ).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات، والفيّومي المصباح المنير، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (غيظ).

3) ﴿يَنَالُواْ﴾: (نول) تدلُّ اشتقاقاتها على معنى الإعطاء، تقول: نَوَّلْته، أي: أعطيته، والنَّوالُ هو العَطاء[1]، وحقيقته: ما يناله الإنسان من الصِّلة[2]، والمراد بقول الله ﷻ: ﴿لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا﴾: لم يصيبوا ما أرادوا من الغلبة على المسلمين[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ردُّ أحزاب الكفر خائبين خاسرين مغتاظين

يخبر ربُّنا سبحانه أنَّه ردَّ أحزاب الكفر عن المدينة خائبين خاسرين مغتاظين، لم ينالوا خيرًا في الدُّنيا ولا في الآخرة، وكفى الله المؤمنين القتال بما أيَّدهم به من الأسباب، وكان الله قويًّا لا يُغالَب، ولا يُقْهَر، عزيزًا في ملكهِ وسلطانه[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواو في الآية:

ردُّ اللهِ الأحزاب وإذهابُهم بإرسال الرّيح

عُطِفَ قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ﴾ بحرف الواو الدّال على الجمع والاقتران، ويمكن أن يكون معطوفًا على جملة: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ [الأحزاب: 9]، وهو الأنسب بسياق الآيات بعدها، أي: أرسل الله عليهم ريحًا وردَّهم، أو حال من ضمير: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ﴾ [الأحزاب: 20]، أي: يحسبون الأحزاب لم يذهبوا، وقد ردَّ الله الأحزاب، فذهبوا[5].

سرُّ التَّعبير بالردِّ في الآية:

تمامُ النِّعمة على المسلمين بإرجاع الكافرين

أوثرَ التَّعبير بالفعل ﴿وَرَدَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ﴾، ومعناه الإرجاع إلى المكان الَّذي صُدِرَ منه، فإنَّ ردَّهم إلى ديارهم من تمام النِّعمة على المسلمين بعد نعمة إرسال الرّيح عليهم؛

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نول).
(2) الرّاغب، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (نيل).
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 22/ 479.
(4) نخبة مِنَ العلماء، التّفسير الميسر، ص: 421.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 309.

لأنَّ رجوعهم أعمل في اطمئنان المسلمين[1]، ثم إنَّ في الرَّدِّ معنى الإهانة والإذلال من جهة، والقوَّة في الرُّجوع من جهة أخرى.

دلالةُ إظهارِ الإسم الأعظم ﴿ٱللَّهُ﴾:

تعظيمُ المهابةِ في قلوب العباد بإظهار الاسم الأعظم في النَّظم

أُظهِرَ في قَوْله تَعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ﴾ اسمُ اللّهِ الأعظم الجامع لأسمائه الحسنى بغرض التَّنبيه على عظم شأن هذا الردِّ العجيب، واستحضارِ عظمة الله الجامعِ لِصفاتِ الكمالِ، ومسمّاه جامع كلِّ الصِّفات العلا؛ تقريرًا للقوَّة الكاملة والعزَّة القاهرة القادرة على هزيمة الأحزاب وردِّهم خائبين.

دلالةُ التَّعبيرِ بالاسم الموصول في الآية:

كفرُ الكافرين سببُ خيبتهم وإرجاعهم خاسرين

أوثِرَ في قوله تَعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ﴾ استعمالُ الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وصلته: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ دون الاسم الظّاهر (الكافرين)؛ لأنَّه يسمح بوصفه بجملة الصِّلة وللتَّنبيه على علَّة الحكم، فعبَّر النَّظم القرآنيُّ عن الأحزاب بالذين كفروا؛ للإيماء إلى أنَّ كفرَهم هو سبب خيبتهم العجيبة الشَّأن[2].

دلالةُ الباءِ في قوله: ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾:

اتِّساعُ المعاني تبعٌ لتنوُّعِ معاني الباء

دلَّ حرف الباء في قوله تَعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ﴾ على المصاحبة والملابسة، فيكون الجارُّ والمجرور في موضع حال، تقديره: (ردَّهم مغتاظين)، وهي نظيرة الباء في قوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: 20]، أي: تنبت ملابسة للدُّهن[3].

سرُّ التَّعبير بلفظ الغيظ:

غضبُ المشركين بردِّهم خائبين خاسرين

عبَّر النَّظمُ القرآني بلفظ (الغيظ) مناسبةً للسّياق في قوله تَعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ﴾، فالغيظ: الحنقُ والغضب،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 310.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 310.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 08/ 469، وشيخ زاده، الحاشية على تفسير البيضاوي: 6/ 625.

وقد كان غضبهم عظيمًا يناسب حال خيبتهم؛ لأنَّهم تجشَّموا كلفة التجمُّع والإنفاق وطول المكث حول المدينة بلا طائل وخابت آمالهم في فتح المدينة وأكل ثمارها وإفناء المسلمين، وهم يحسبون أنَّها منازلة أيّام قليلة، ثمَّ غاظهم ما لحقهم من النَّكبة بالرّيح والانهزام الذي لم يعرفوا سببه[1].

سرُّ فصل جملة: ﴿لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ﴾:

كمالُ الاتِّصال بين الجملتين بتقدير الحال أو البدل

فُصِلَ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ﴾ عن الجملة السّابقة، وهي قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ﴾؛ لوجود كمال الاتِّصال بينهما، وهو اتِّحاد الجملتين اتِّحادًا تامًّا وامتزاجًا معنويًّا، بحيث تُنزَّل الثّانية من الأولى منزلةَ نفسها[2]، فقد وقعت جُمْلَةُ: ﴿لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ﴾ حالًا ثانية أو حالًا من الحال الأولى، فهي متداخلة، ويجوز أن تكون حالًا من الضَّمير المجرور بالإضافة ﴿بِغَيۡظِهِمۡ﴾، وجوَّز الزمخشريُّ فيها أن تكون بيانًا للحال الأولى أو مستأنفة، ولا يظهر البيان إلّا على البدل، والاستئناف بعيد، ويجوز أن تكون بدلًا من الحال الأولى (بغيظه)، ويجوز أن تكون مستأنفة استئنافًا بيانيًّا، كأنَّ سائلًا سأل: لماذا كانوا مغتاظين؟ فكانت الإجابة؛ لأنَّهم لم ينالوا خيرًا [3].

سرُّ النَّفي بـ﴿لَمۡ﴾ في الآية:

نفيُ نيل الكافرين الخير في الماضي والحاضر

ورد في قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ﴾ النَّفيُ بـ﴿لَمۡ﴾، وهي أداة لنفي الفعل المضارع وجزمِهِ، وقلْبِ زمنه إلى المضيِّ، وهي لنفي (فَعَلَ)، فإذا قلت: (حضر محمد)؛ فإنَّ نفيه (لم يحضر)، وقد يكون النَّفي بها منقطعًا أو متَّصلًا إلى زمن المتكلِّم، دون التَّعرُّض

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 310.
(2) القزوينيّ، الإيضاح: 3/ 108.
(3) الزمخشريّ، الكشّاف: 3/ 533، والسّمين الحلبيّ، الدرّ المصون: 9/ 113.

للنَّفي في الحاضر والمستقبل[1]، فنفى النَّظمُ نيلَ الكافرين أيَّ خير في تحزُّبهم على المسلمين.

سرُّ التَّعبيرِ بالفعل المضارع المنفيِّ: ﴿لَمْ يَنَالُواْ﴾:

الإشارةُ إلى امتداد نفي نيل الخير عن الأحزاب في المستقبل

لمّا رجع المشركون المتحزِّبون عن المدينة مدحورين مغتاظين؛ أراد القرآن أن يشير إلى أنَّهم لن يستطيعوا نيلَ شيء من المسلمين بعد ذلك، وفي صحيح البخاريِّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال بعد رجوع الأحزاب: «الآن نغزوهم، ولا يغزوننا»، وهذا هو السِّرُّ في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَنَالُواْ﴾، ولم يقل: (ما نالوا)؛ لأنَّ في الثّاني نفيَ الماضي دون النَّظر إلى الحال والاستقبال، بخلاف الأوَّل.

دلالةُ التَّعبير بـ﴿خَيْرًا﴾:

عدمُ نيل الكافرين أيَّ نوع من أنواع الخير

استُعمِل في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا﴾ لفظُ ﴿خَيْرًا﴾؛ للدَّلالة على كون الكفّار لم يصيبوا ما أرادوا من الغلبة على المسلمين، وسمّاها خيرًا؛ لأنَّ ذلك كان خيرًا عندهم في اعتقادهم، فجاء على استعمالهم وزعمهم، وفسَّرَ بعضهم الخير بالظَّفر بالنَّبيِّ صلّى اللّه تعالى عليه وسلَّم والمؤمنين، وفسَّره بعضهم بالمال، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات: 8]، والأولى أن يُراد به كلُّ خيرٍ عندهم، فالنَّكرة في سياق النَّفي تعمُّ[2].

بلاغةُ التَّنكير في: ﴿خَيْرًا﴾:

عدمُ نيل شيء من الخير لا من الدّين ولا مِن الدُّنيا

جاء لفظ ﴿خَيْرًا﴾ في قَوْله تَعالى: ﴿لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا﴾ نكرةً، والغرض من تنكيره التَّقليلُ، فالأحزاب لم ينالوا من الخير شيئًا، ولو يسيرًا لا مِن الدّين ولا مِن الدُّنيا، بل نالوا ذلًّا وندامة وخسارة أموالهم، لم يربحوا إلّا عناء السَّفر وغرم النَّفقة.

(1) فاضل السّامرائي، معاني النّحو: 4/ 69.

(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 22/ 479، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 171.

دلالة الواو في قوله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾:

إتمامُ النِّعمة على المؤمنين بالكفاية من شرِّ القتال

عُطِفَ قوله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ على جملة: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ﴾ بحرف الواو الدّالِّ على الجمع والاقتران؛ تتميمًا لنعمة النَّصر والظَّفر على الأعداء، والمعنى: أنَّ الله أرسل على الأحزاب ريحًا، وردَّ جيوشهم، وكفى الله المؤمنين قتالهم.

سِرُّ التَّعبير بالكفاية في الآية:

كفاية المؤمنين قتالَ الأحزاب بالرّيح والملائكة

جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ كفايةُ المؤمنين القتال، والمقصود أنَّ الله سبحانه أغناهم عن قتال الأحزاب بما أرسله عليهم من الرّيح الشديدة، والجنود التي لم يروها من الملائكة وغيرهم، ولم يحتجِ المؤمنون إلى منازلتهم ومبارزتهم لإجلائهم عن بلادهم، بل كفى الله المؤمنين القتال، ونصر عبدَهُ، وأعزَّ جندَهُ، وهزم الأحزابَ وحدَهُ، فلا شيء بعده.

نكتةُ تعديةِ الفعل ﴿وَكَفَى﴾ في الآية:

(كفى) بمعنى (أغنى) تتعدّى إلى مفعولين

أوثِر في قوله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ التَّعبيرُ بالفعل ﴿وَكَفَى﴾، وهو في هذا السّياق بمعنى (أغنى)، أي: أغنى الله المؤمنين عن قتال الأحزاب، وكفى - بهذا المعنى - تتعدّى إلى مفعولين، يقال: كفيتُكَ مُهِمَّكَ، وليست هي الَّتي تُزاد الباءُ في مفعولها، فتلك بمعنى: حَسُبَ، نحو: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ [الأحزاب: 3][1].

بلاغةُ الإظهارِ في موضع الإضمار في قوله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ﴾:

الدَّلالةُ على أنَّ المانع الحقيقيَّ هو الله لا الأسباب

في قوله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾، بدل: (وكفى المؤمنين القتال)؛ لتقدُّم لفظ الجلالة في صدر الآية في قوله: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ دلالةً على أنَّ الَّذي منع الكفّار من قتال المؤمنين، وإن كان في الظّاهر معروفًا، وهو الرّيح والملائكة وغيرهما، إلّا أنَّه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 310.

يريد أن يبيِّن أنَّ هذه أسبابٌ، وأنَّ خالق الأسباب هو الذي سخَّرها، وهو سبحانه إنَّما منعهم بهذه الأسباب؛ لأنَّه الله، بهذا اللَّفظ الذي يورث المهابة في القلوب، بذكر اسمه العلم ﴿ٱللَّهُ﴾، الذي لا يشرَكُهُ فيه أحد غيره، فكذلك لا يستطيع أحد سواه كائنًا من كان أن يفعل فعله من تسخير الرّيح والملائكة وغيرهما؛ لردِّ الكفّار خائبين خاسرين مغتاظين.

دلالةُ التَّعبير بلفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾:

التَّنبيهُ على عِظم شأن كفاية الله لأوليائه المؤمنين

أُظهِرَ في قَوْله تَعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ﴾ اسمُ الله الأعظم الجامع لأسمائه الحسنى؛ بغرض التَّنبيه على عِظَمِ شأنِ كفاية الله لأوليائه المؤمنين، واستحضار عظمة الله الجامعِ لِصفاتِ الكمالِ، وهو يشير إلى أنَّ مسمّاه جامعٌ كلَّ الصفات العلا؛ تقريرًا للقوَّة الكاملة والعزَّة القاهرة القادرة على هزيمة الأحزاب وردِّهم خائبين.

نكتةُ التَّعبيرِ بـ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

التَّصديقُ الجازم بما وعد به سبحانه عبده من النَّصر والتَّمكين

أوثِرَ في قوله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ﴾ التَّعبيرُ بوصف ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ دون (المسلمين) مثلًا؛ لمناسبة سياق الجهاد في سبيل الله الذي يتطلَّبُ إيمانًا راسخًا، فالإيمان بالله سبحانه معناه التَّصديق الجازم بما وعد به سبحانه من النَّصر والتَّمكين لعباده المؤمنين، ثمَّ إنَّ التَّعبير بالاسم المشتق يشعر بعلِّيَّة ما منه الاشتقاق، أي: إنَّما كفاهم الله شرَّهم؛ لأنَّهم مؤمنون.

بلاغةُ التَّعبيرِ باسم الفاعل المجموع:

دلالةُ اسم الفاعل على رسوخ الصِّفة في الموصوف

أوثِرَ في قوله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ﴾ استعمالُ اسم الفاعل المجموع ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ دون الصِّلة (الذين آمنوا)؛ لما في اسم الفاعل من الدِّلالة على ثبوت صفة الإيمان في المدوحين به ورسوخ هذه الصِّفة فيهم.

سرُّ التَّعبيرِ بـ(أل) الموصولة في المؤمنين:

تنوُّع المعنى بين قصد العموم أو قصد الخصوص

جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ﴾ لفظُ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ معرَّفًا، فدلَّ على الاستغراق والعموم في (أل) الموصولة على الأصل من دلالة الموصول على العموم، أي: إنَّ الله كفى كلَّ المؤمنين الذين كانوا مع رسول الله ﷺ أن يقاتل الأحزاب، وقال بعضهم: إنَّ المرادَ بالمُؤْمِنينَ هنا عليُّ بن أبي طالب وقوم معه عُنوا للقتال، وبرزوا، ودعوا إليه، وقد قتل عليٌّ رجلًا من المشركين اسمه عمرو بن عبد وُدٍّ، فكفاهم الله تعالى مداومة ذلك وعودته بأن هُزِمَ الأحزاب بالرّيح والملائكة، وصنع ذلك بقوَّته وعزَّته[1].

بلاغةُ مجازِ الحذف في الآية:

أثـرُ الحـذفِ البـلاغـي في استثارة المعاني وكثرتها

يتضمَّنُ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ﴾ مجازًا بالحذف، تقديره: وكفى الله المؤمنين كلفةَ القتال، أو أرزاء القتال، فإنَّ المؤمنين كانوا يومئذٍ بحاجة إلى توفير عَدَدِهم وعُدَدِهم بعد مصيبة يوم أحد، ولو التقوا مع جيش المشركين؛ لكانت أرزاؤهم كثيرةً، ولو انتصروا على المشركين[2]، وذهب بعضهم إلى أنَّ المراد: كفى الله المؤمنين مداومة القتال وعودته، فإنَّ قريشًا هُزموا بقوَّة الله تعالى وعزَّته ﷻ وما غزوا المسلمين بعد ذلك، وإلّا فقد وقع قتال في الجملة، وقُتِلَ من المشركين ثلاثة كما ورد في الأخبار[3].

نوعُ التَّعريفِ في لفظ ﴿ٱلْقِتَالَۚ﴾:

بسالةُ عليٍّ رضي الله عنه في غزوة الأحزاب

جاء لفظُ القتال في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ﴾ معرَّفًا بـ(أل) الدّالَّةِ على تعريف العهد، فالمرادُ بالقتال - الذي كفاهم الله تعالى إيّاه - القتالُ على الوجه المعروف من تعبئة الصُّفوف والرَّمي بالسِّهام والمقارعة بالسّيوف أو القتال الذي

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 379.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 310.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 172.

يقتضيه ذلك التَّحزُّب والاجتماع بحكم العادة، وإلّا فقد وقع قتال من عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

سرُّ إبهام كيفيَّة الكفاية:

كفايةُ الله عباده بما شاء

ذُكِرَتِ الكفاية في قَوْله تَعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ﴾ مطلقة[2]، فاختلف العلماء في تحديد كيفيَّتها، والظّاهر من الآثار أنَّها كانت بالجنود من عند الله، والمقصود بها الملائكة التي كانت تقذف الرُّعب في قلوب المشركين، وكذلك بالرّيح الشَّديدة التي بُعِثت عليهم، والَّتي أجبرتهم على الرُّجوع خائبين.

بلاغةُ توسُّطِ جملة: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ﴾:

وضْعُ الحربِ بين المسلمين وبين قريش بعد الأحزاب

يتضمَّن قولُهُ تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ﴾ إشارةً إلى وضع الحرب بين المسلمين وبين قريش، وهكذا وقع بعدها، فلم تغزُ قريشٌ بعد ذلك المسلمين، وقال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «الآن نغزوهم، ولا يغزوننا»[3]، فكان كما أخبر ﷺ أنَّه هو الذي يغزوهم بعد ذلك، حتى فتح الله عليه مكَّة[4].

دلالةُ جملة الفاصلة في الآية:

قدرةُ القويِّ سبحانه على هزيمة الأحزاب وغيرهم، فهو لا يعجزه شيء

خرج قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ مخرجَ التَّذييل لجملة: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إلى آخرها، فهو تذييلٌ جارٍ مجرى المثل؛ لكونه مستقلًّا بالإفادة، من غير افتقار إلى ما قبله في بيان المراد منه، وفائدة التَّذييل غالبًا توكيد المذيَّل، وإبراز حكمه في صورة كليَّة[5]، فأكَّد الله سبحانه أنَّ قوَّته وعزَّته مطلقتان غير مقيَّدتين بشيء، قادر على هزيمة الأحزاب وغيرهم، لا يعجزه شيء.

---

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 172.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 70.
(3) أخرجه البخاريّ في صحيحه، الحديث رقم: (112)، ومسلم في صحيحه، الحديث رقم: (20).
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 355.
(5) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/ 386.

دلالةُ التَّعبير بفعل (كان):

العـزَّةُ والـقـوَّةُ وصفان دائمان لله تعالى

ورد في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ استعمالُ الفعل الماضي (كان)، الَّذي يأتي في الأصل للاتِّصاف بالخبر في الماضي مع الانقطاع، غير أنَّه يخرج لدلالة الدَّوام والاستمرار بمعنى (لم يزل)[1]، وفائدتها هنا: الدَّلالة على أنَّ العزَّة والقوَّة وصفان دائمان للّه تعالى، ومن تعلُّقات قوَّته وعزَّته أن صرف ذلك الجيش العظيم خائبًا مفتضِحًا، وألقى بينه وبين أحلافه من قريظة الشَّكَّ، وأرسل عليهم الرّيح والقرَّ، وهدى نعيمَ بن مسعود الغطفاني إلى الإسلام دون أن يشعر قومه، فاستطاع النُّصح للمسلمين بالكيد للمشركين، ذلك كلُّه معجزة للنَّبيِّ ﷺ[2].

دلالةُ إظهار اسم الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾:

استـحـضـارُ عـظـمـة الـلـه سبحانه في قوَّته وعزَّته

تكرَّر في قَوْله تَعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ إظهارُ اسم اللّه الأعظم الجامع لأسمائه الحسنى بغرض استحضار عظمة اللّه سبحانه في قوَّته وعزَّته وسائر صِفاتِ الكمالِ، فاسم الجلالة اللّه أصله الإله، واشتقاقه مشير إلى أنَّ مسمّاه جامعٌ كلَّ الصفات العلا تقريرًا للقوَّة الكاملة والعزَّة القاهرة القادرة على هزيمة الأحزاب وردِّهم خائبين خاسرين مغتاظين.

سرُّ إيثار الاسمين الكريمين (القويِّ العزيز):

مـن يـنـصـره الله؛ فلا غالب له، فهو المنفرد بالقوَّة والعزَّة

وَصَفَ اللّه سبحانه نفسه في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ بوصفَي القويِّ العزيز، فهو سبحانه قويٌّ على فعل ما يشاء فعله بخَلقِه، فينصر مَن شاء منهم على مَن شاء أن يخذلَهُ، لا يغلبه غالبٌ، وهو ﷻ عزيز شديد انتقامه ممَّن انتقم منه من أعدائِه[3]، فمن ينصره اللّه؛ فلا غالب له؛ لأنَّه سبحانه المتفرِّد بالعزَّة والقوَّة.

(1) السّيوطيّ، همع الهوامع: 1/ 120.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 311.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 70.

البلاغةُ في ذِكرِ صفات الله تعالى غير معطوفة:

الدلالةُ على أنَّ هذه الصفات في أعلى درجات القوَّة

في قولِه تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ جاءت الصفتان غير معطوفتين بالواو، فلم يقل: (وكان اللّه قويًّا وعزيزًا)؛ لأنَّ الأصل في ذكر الصِّفات على نمط التَّعديد بالوصف أن يكون الموصوفُ بهذه الصِّفات في أعلى درجات الصِّفة، أو يدَّعي المتكلِّم ذلك، كأنَّه وصل حدًّا لا يمكن أن يصل إليه غيره فيها، وكأنَّه نفسه في ذات الصِّفة وصل درجة لا يمكن أن ينزل عنها إلى ما دونها.

فنُّ المناسبةِ بين الآية وفاصلتها:

الاحتراس من ربط النَّتائج بالأسباب دون النَّظر إلى قوَّة المسبِّب وعزَّته

تتضمَّن هذه الآية الكريمة فنًّا من فنون البلاغة، وهو فنُّ المناسبة، وهذا الفنُّ ضربان: مناسبة في المعاني، ومناسبة في الألفاظ، وما ورد في هذه الآية من الضَّرب الأوَّل؛ لأنَّ الكلام لو اقتصر فيه على مادون الفاصلة؛ لأوهم ذلك بعض الضُّعفاء أنَّ هذا الإخبار موافق لاعتقاد الكفّار في أنَّ الرّيح الَّتي حدثت كانت سببًا في رجوعهم خائبين، وكفى المؤمنين قتالهم، والرّيح إنَّما حدثت اتِّفاقًا، كما تحدث في بعض وقائعهم وقتال بعضهم لبعض، وظنّوا أنَّ ذلك لم يكن من عند اللّه، فوقع الاحتراس بمجيء الفاصلة، الَّتي أخبر فيها سبحانه أنَّه قويٌّ عزيز، قادر بقوَّته على كلِّ شيء ممتنع بذاته، وأنَّ حزبه هو الغالب، وأنَّه لقدرته يجعل النَّصر للمؤمنين أفانين متنوِّعة[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الردّ والإرجاع:

عمودُ الردِّ في الإرجاع وغيره

يتجلّى الفرق بين (الردِّ)، و(الإرجاع) في كون الردِّ صرف الشيء بذاته، أو بحالة من أحواله، يقال: رَدَدْتُهُ، فارْتَدَّ، قال تعالى: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأنعام: 147][2]، أمّا الإرجاع؛ فهو

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 11/ 152.

(2) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ، وابن منظور، لسان العرب: (ردد).

العَودُ إلى ما كان منه البَدء، أو تقدير البدء مكانًا كان أو فعلًا، أو قولًا، وبذاته كان رجوعه، أو بجزء من أجزائه، أو بفعل من أفعاله[1].

وقد آثر النَّظمُ القرآنيُّ في الآية لفظ (الردِّ)؛ لأنَّه أنسب وأليق بصرف أحزاب الكفر عن المدينة خائبين خاسرين مغتاظين.

الغيظ والغضب:

الغيظ للعاجز والغضب للقادر

يجوز للإنسان أن يغتاظ من نفسه، ولا يجوز أن يغضب عليها، وذلك أنَّ الغضب إرادة الضَّرر للمغضوب عليه، ولا يجوز أن يريد الإنسان الضَّرر بنفسه، فالغيظ يقرِّب من باب الغمِّ، فيكون كامنًا في النَّفس، ويظهره الغضب[2]، ومن الفروق أيضًا: أنَّ الغيظ أشدُّ من الغضب، والغيظ كامن والغضب ظاهر، والغيظ للعاجز والغضب للقادر[3]، فاختار القرآن لفظ (الغيظ) في الآية؛ لبيان عجز الأحزاب عن نيل ما أرادوه من غلبة المسلمين وتحسُّرهم على ما خسروه.

القتال والجهاد:

القتال لا يكون إلّا بالسِّنان بينما الجهاد يكون به وبالمال والعلم والبيان

بين لفظَي الجهاد والقتال عموم وخصوص، فالقتال قد يكون حقًّا، وقد يكون بغيًا بغير حقٍّ، ولا يكون الجهاد إلّا حقًّا ونشْرًا للدّين أو ردًّا للكافرين، وكذلك الجهادُ أعمُّ مِنَ القتال، فهو لا يكون بالسّيف فقط بل قد يكون ببذل المال في نصرة الحقِّ، وقد يكون باللِّسان في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ومنه قولُ النَّبيِّ ﷺ: «جاهدوا المشركين بأنفسكم وأموالكم وألسنتكم»[4]، ومن الفروق الواضحة بينهما عمومُ القتال في كلِّ الملل والنِّحل، وخصوص الجهاد بكونه مصطلحًا إسلاميًّا خاصًّا بالحضارة الإسلاميَّة وحدها دون ما سواها.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل: (رجع).
(2) العسكريُّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 130.
(3) الزّبيدي، تاج العروس: (غيظ).
(4) أخرجه أبو داود، الحديث رقم: (2504)، وأحمد، الحديث رقم: (11837)، والنّسائي، الحديث رقم: (3096) عن أنس بن مالك ﷺ.

المحتويات

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»